خطاب جلالة الملك
بمناسبة افتتاح عملية الكتاتيب القرآنية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

إن القضايا التي اجتمعنا بكم من أجلها اليوم تمت بصلة تربوية إلى مستقبل أبنائنا ومستقبل الأجيال التي ستقطن هذا البلد الأمين، حيث انها تتعلق بتكوينهم وتربيتهم، وتتعلق كذلك بأن يكونوا مواطنين صالحين مسلمين تحدوهم في سيرتهم اليومية عواطف التضامن وعواطف الأخلاق الاسلامية والتربية الحنفية، تربية الاسلام وتربية أجدادنا، تلك التربية وتلك الأخلاق التي جعلت من المملكة المغربية الشريفة تلك المملكة التي قيل فيها ما قيل وتحدث عنها المؤرخون وسارت بذكرها الركبان وكتبت في تاريخها صفحات وصفحات من المجد الأثيل.

إن الديانة الاسلامية ديانة متوازنة مطابقة كل المطابقة لقضايا ومشاكل القرن العشرين فهي من جهة تريد أن تكرم ابن آدم، وتريد أن تكرمه من الناحية المادية حتى لا يكون عبئاً على المجتمع الذي يعيش فيه، وتريد أن تكرمه من ناحية القوة حيث ان المؤمن القوي خير وأفضل عند الله من المؤمن الضعيف.

ومن جهة أخرى تريد أن تكرمه من الناحية البشرية وتجعل منه إماماً يهدى وأستاذاً يلقن ومثالا يحتذى.

تلك هي تعاليمنا وتلك هي سيرة آبائنا وأجدادنا، فهل يا ترى فيما نراه اليوم ونلمسه ونشاهده، ما يلائم ويطابق هذه التعاليم ؟ أم نشاهد بكامل الأسف ما ينافيها ويتنافى مع مبادئنا وأخلاقنا وما من شأنه أن يشين ويعوق سيرنا إلى الوصول إلى هذه المبادىء وبلوغ هذه الغاية السامية ؟.

فبكل أسف نرى ظاهرة عامة في القرن العشرين وهي التفاوت الموجود بين الثقافة والتربية، بل يمكن لنا القول التضارب والتناقض الذي يلمسه الآباء والأمهات والمجتمعات بين ما نسميه التثقيف والتعليم وبين ما نسميه التربية.

وعلى كل واحد أن يتساءل ومن حقه أن يتساءل: ما هي الأسباب التي جعلت البشرية لا تبغي غير التثقيف ؟ ولماذا أهملت التربية في سبيل التثقيف ؟ وهل سلكت هذا الطريق عن وعي أم عن غير وعي ؟.

نعم، هناك علماء ومختصون في العلم الاجتماعي يمكنهم في الحقيقة تحليل الأسباب والمسببات أحسن مما يمكن أن أعمله أنا شخصياً، ولكن أول شيء يمكن أن يتبادر إلى الذهن وهو :

السبب الأول : التشغيل أو فتح آفاق التوظيف والأشغال في المرافق العمومية أو الخاصة للأمهات فبمجرد ما طبقنا حرفيا لا روحيا التعاليم الاسلامية من ناحية التساوي في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة وفتحنا لهذه الأخيرة أبواب كسب العيش وكسب القسوت، فتحنا لها أبواب المدرسة وأبواب التثقيف وجعلنا منها امرأة دون أن نجعل منها زوجة وبالتالي أماً.

وحينما شعرت هذه المرأة بأنها متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات دفعتها قريحتها وطموحها إلى

أن تكتسح مع الرجل جميع ميادين الحرب الاجتماعية الخاصة لكسب العيش والقوت حتى تتمكن بدورها من الترفيه على بيتها وتقاسم زوجها متاعب الحياة، وقد أدى بها هذا إلى أن تغادر منزلها وتشتغل بمهامها.

ونظرا لرفع مستوى المعيشة وضرورة الترفيه على الجميع بدا من الصعب عليها أن تترك من يخلفها في البيت ومن يربي أبناءها عوضاً عنها.

هذا هو السبب الأول.

السبب الثاني : إذا كانت حقيقة الحياة في الماضي معركة يومية بين فرد وبين جماعة، وبين الجوع والتخلف، فهذه المعركة أصبحت اليوم معركة حامية الوطيس أكثر من ذي قبل، وقد أصبحنا نرى أنه لا يمكن الدخول في السلم الاداري أو يتقاضى في القطاع الخاص أجوراً مواتية من شأنها أن تضمن له قوته إلا لأولئك الذين يتوفرون على شهادات ولهم ثقافة.

وبذلك أصبحنا نرسل أبناءنا إلى المدرسة ونسهر على تثقيفهم ونحاول أن يحصلوا قبل كل شيء على شهادات يمكنهم الادلاء بها عند الحاجة حتى يمكنهم الحصول على مناصب تدر عليهم الخير والرزق.

وبنوع من الدور والتسلسل في التفكير وفي التفكير الخاطىء تفكير جماعي وفردي خاطىء نعتقد أن الثقافة والتربية شيئان متنافيان والحالة هذه أنها أشياء غير متنافية، بل ان التثقيف لا يمكن أن يكون تثقيفاً ذا جدوى، تثقيفاً ذا فعالية إلا إذا كان مبنيا على قاعدة من الأخلاق ومن المبادىء مثلما بني الاسلام على خمس وتفرعت عن تلك القواعد الخمس قواعد أخرى للمعاملات والعبادات كذلك يجب علينا أن نعرف أن التثقيف لابد له من أعمدة ولابد له من قواعد وإن قل عددها، والمهم أن يكون هيكلها قوياً ومن شأنه أن يحمل ثقل الهيكل كله لحياة فرد وأسرة وأمة.

ويظهر أن المشكل الذي وقعنا فيه مشكل آخر، وهو اننا مزجنا التثقيف في التربية بينما المغربي هو مغربي صرف ويجب أن يبقى مغربياً صرفا مدى القرون والأجيال، فإذا كانت الثقافة والتثقيف والتعليم ومن الضرورة أن يكون مزدوجاً، فالتربية واجبة ومن الضروري أن تكون تربية واحدة منفردة، تربية وطنية فردية متصلة كل الصلة بالواقع الاجتماعي، بذلك الواقع الذي جعل من بلدنا ما جعل منه التاريخ، ويضمن له ما يجعل لأبنائها مستقبلا زاهراً زاخراً بالكرامة وبالفخر.

ولقد صرنا نعتقد أن الوصول إلى الباكالورياوالوصول إلى الطب وإلى الهندسة لا يمكن ضمانه إلا بالازدواج وهذا ضروري، ولكن لم نجعل في حياة الطفل وفي حياة الابن مراحل.

فالطفل لابد له من تكوين منفرد وتربية منفردة ولابد له بعد ذلك من أن يلقَّن العلزم بطريقة مزدوجة حتى يمكن للعبقرية الاسلامية والعربية أن لا تبقى منحصرة إلا في مئة مليون من العرب فقط بل تتعدى هذه الحدود وهذه الآفاق، وتصل إلى غزو سلمي ثقافي فتصل إلى جميع أنحاء العالم.

فإذا نحن اعتبرنا مثلا أن التثقيف لا يمكن له أن يكون مزدوجاً فإننا سنسير في تيار مخالف للتيار الاسلامي فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : لا فضل لأسود على أبيض أو كما قال : ولا لعربي على أعجمي، والأعجمي في تعريف اللغة هو غير العربي الذي يتكلم بغير العربية وكان في ذلك العهد يتكلم إما باللاتينية وإما باللغة الفارسية وإما بتلك اللغات الأخرى التي ليست بالفارسية ولا باللاتينية، وكيفما كان الحال، لم يكن يتكلم

إذ ذاك باللغة العربية، فإذا نحن ركبنا ذلك الطريق نجد أن التعليم يجب أن لا يكون مزدوجاً ضيقاً بكيفية محرمة آفاق النفوذ وآفاق الاشعاع التي فتحها بل شرعها الاسلام وشرعها المشرع الأعظم بعد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

نعم، هذا هو التثقيف، ولكن التربية كما قلت هي أساس كل تثقيف فكما قال حكيم من الحكماء : «علم بدون ضمير هو انهيار الشخصية» والضمير في هذا التعريف وفي هذه الترجمة المستعجلة والمرتجلة هو عدم التربية وانعدامها .

لذا بعد التفكير، اقتضى نظرنا استجابة إلى داعي الضمير ونزولا عند مقتضيات الدستور وبرا وتطبيقاً لواجبنا الذي هو قبل كل شيء يفرض علينا أن نكون حامي الملة والدين قررنا أن نفتح هذه السنة حملة الكتاتيب القرآنية.

ولو لم تكن هذه الأيام راجت مقالات مكتوبة ومقروءة حول النظام الديمقراطي البرلماني وغير البرلماني لدخلنا في هذا التفصيل ولقلنا ان مشروعنا قد كنا وضعناه منذ سنين أي منذ ثلاث أوأربع سنوات وشعرنا إذ ذاك أنه لن تكون له جدوى، بل ربما يقيم ضجة أو مختلفة سطحية لا صلة بينها وبين المشكل الحقيقي.

فكيفما كان الحال فلسنا بصدد ذكر الماضي إلا إذا كنا سنأخذ منه دروساً، فمنذ سنوات وهذه الفكرة تخالج ذهني، بل كأب لأسرة وأبناء كنت أقول : إذا كان أبنائي سينشأون على شكل، ومواطني على شكل آخر، فهل من المعقول أن يعيشوا في هذه البلاد وإلا فسيعيشون غرباء أجانب بالنسبة لمجموع مواطنيهم الذين سينشأون وينمون في المستقبل، أو هل سنجعل من الأجيال الصاعدة أجيالا تأخذ نفس التربية التي تربينا عليها ؟.

من من الأجيال جاء بالاستقلال ؟ الأجيال التي تعلمت في الكتاتيب.

من من الأجيال التي بنت الاستقلال ؟ الأجيال التي ثنت أرجلها أمام الفقيه.

من هي الأجيال التي تنهك الآن قوتها ؟ الأجيال التي لا تزال تعرف الفاعل والمفعول وما هي الصلوات الخمس وما هو الصيام وما هي قواعد الحج.

وهل الأجيال المتشككة الشاكة الضالة المحتارة بين التجاذب الشرقي والغربي الشمالي والجنوبي هي التي أتت بشيء ما ؟ وهل هي التي من شأنها أن تأتي بشيء ما ؟.

لا أعتقد ذلك، لأنها لا تتوفر على الأساس، بل ليس لها المحور الذي ستدور حوله، بل ستبقى كريشة في مهب الريح طائشة، لا تستقر على حال من القلق، والقلق من الناحية النفسية هو الحيرة هو البحث عن ضالة وعدم وجودها.

أما الانسان الذي كان مثل تلك المروحة مشدوداً بحائط أو بسقف فحتى وإن دار مع الريح لا يكون قلقاً بل يبقى ثابت الأركان، يدور كما تدور الريح ولكن يبقى عموده الفقري مستقراً دائما ثابتاً مرتبطاً بالبيت وبالبنيان الذي يرتكز عليه:

فكيف سننجز عملية الكتاتيب هذه ؟

عملية الكتاتيب ترمي إلى أهداف متعددة، ترمي أولا إلى التخفيف عن الأسرة من مشاكل الطفل مدة سنتين.

وترمي ثانيا إلى ربح سنتين بالنسبة للتعليم الابتدائي أي ربح القراءة والكتابة ومن شأنها كذلك أن توفر على خزينة الدولة سنتين في التعليم الابتدائي لتعليم الحروف الهجائية، وأخيراً ستخفف على الشرطة أعباء محاربة تكوين أطر اللصوص وأسافل الناس الذين لا أصل لهم ويرتكبون أعمالا دنيئة وعمرهم لا يتجاوز خمس أو ست سنوات.

والآن سأدخل في التفاصيل المدارس الابتدائية عندنا في المغرب لا تقبل الأطفال إلا عندما يبلغون سبع سنوات وقد قلت لكم ان الأسر عندنا في المغرب مع كل أسف تنظم حياتها على الشكل الأروبي، فالرجل في العمل والمرأة في العمل يتصلون في الزوال ثم في الثامنة ليلا ليناولوا أبناءهم عشاءهم ويهيئوهم للنوم فلا يجدون الوقت للاعتناء بهم ولا لتتبع دراستهم ولا لتفهيمهم واجباتهم المدرسية ولا حتى لمعرفة المفردات التي تعلمها أبناؤهم، وعما إذا كانت ناتجة عن مخالطة حسنة أو سيئة ثم يصبحون يوماً أمام هوة لا تقدير لعمقها وأمام معضلة لا دواء لها حيث ان أطفالهم يصلون كما يقال إلى مرحلة الطائرين إلى حد لا رجوع فيه كالطائرة لما تكون قد وصلت إلى آخر طريقها للطيران لا تتمكن من الاقلاع ولا تتمكن من التوقف عند ذاك تكون الكارثة والعياذ بالله، إذن فالآباء يكونون أمام الأمر الواقع، وبذلك يجد الوطن نفسه أمام مواطن غير صالح وفي الوقت نفسه يستحيل عليه أن يرفضه فواجب برور الوطن ان لا يرفض المواطن كيفما كان، ولكن من باب التبعية يجب على الوطن أن يخلق المواطن كما يجب أن يكون المواطن.

الواقع انه حينما يتوجه الآباء إلى شغلهم أو حتى إذا كانت المرأة لا تشغل، فإن طفلها المتراوح عمره ما بين خمس وسبع سنوات يبقى أمامها في المنزل يعوقها عن القيام بشؤون البيت فتضطر إلى إخراجه من الدار ليلعب مع أقرانه فمن هم أقرانه ؟ هم أفراد الشارع أو الدوار يصرفون كل أوقاتهم إما في تكسير زجاج النوافذ أو سرقة عجلات السيارات أو غير ذلك وبما أن الأمور تسير في التسلسل فإنها تخلق في الطفل غريزة الاساءة للغير، غريزة عمل الشر عن غير وعي في الأول، وأخيراً تصبح تلك الغريزة عادة، والعادة تكون إذ ذاك منطقها ويصبح المنطق هو الدافع إلى العادة.

ثانيا : يخلق اللعب غريزة بدون تطبع ولما تتمكن الغريزة يأتي التطبع ويسترسل في تلك الغريزة حتى تصبح خلقاً ثانياً.

فنحن نريد أن نقطع دابر هذا المشكل الذي يواجهه الآباء والأمهات حتى يطمئنوا على أبنائهم.

وبالاضافة إلى ذلك لما يصل أبناؤنا إلى سن الخمس سنوات ندخلهم لبعض المدارس الأجنبية إذن يقع تسابق وتزاحم على أبواب تلك المدارس الأجنبية ونتيجة لدخول الأبناء إلى هذه المدارس تصبح اللغة الفرنسية لغة حديثهم في المنزل مع آبائهم، بل عوضاً عن أن يتغنوا بأغانيهم العربية والشعبية يتغنوا بأغاني أجنبية وهذا شيء مزري لا أقبله أنا بصفتي وطنياً، بالرغم من أنني تعلمت لغة أجنبية واستعملتها أولا كسلاح لتحرير بلادي وثانيا كسلاح لترقية بلادي وثالثا كسلاح لأكون قادراً على تصدير العبقرية المغربية إلى الخارج على قدر جهدي وإمكانياتي المتواضعة، ولكن لم أجعل من تلك اللغة الكل وروح حياتي.

فالأطفال يدخلون إذن للمدارس الأجنبية فيصبح الآباء أجانب عن أبنائهم، بل قد تقع كارثة أخرى، فبعد سنوات وإذا كان الاباء ما يزالون في مقتبل العمر فإنهم يضطرون حتى لا يظهروا بأنهم متأخرون بالنسبة لأبنائهم إلى التسابق إلى ارتكاب المصائب التي تعلمها أبناؤهم.

وعند ذلك نصبح أمام المثل الشعري الذي يقول :

إذا كان رب الدار للطبل ضارباً

فلا تلم الصبيان في حالة الرقص.

هذه ناحية أخرى من المشكل، فهؤلاء الأطفال اما سيبقون في تسكع إلى أن تتكون لديهم غريزة، والغريزة تكون لديهم شخصية، وأما إن البعض الآخر من الأطفال سيرتادون المدارس الأجنبية.

فنحن إذن سنعلمهم بدون مقابل سنزودهم بالفقهاء الذين سيعلمونهم لمدة ست ساعات في اليوم.

ثلاث في الصباح وثلاث في العشي.

يعلمونهم الحروف ويلقنونهم القرآن الكريم، وسأتحدث عن قضية حفظ القرآن.

وسنخصص لهم وقتا للرياضة والتكوين البدني، وفي اليوم الذي يدخلون المدرسة في السنة السابعة من عمرهم، عوضاً عن أن يصرف معهم مدرس الدولة سنة لتعليمهم الحروف الهجائية سيكونون قد تعلموا القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب وشيئاً من الدين وبذلك سيوفرون علينا سنة أو سنتين كما سيكونون قد حفظوا شيئاً من القرآن الكريم.

إن بالامكان أن يتبادر إلى الذهن، كيف يمكن للانسان حفظ شيء لا يفهمه ؟ ولكن يمكن لي أن أقول لكم إن عبقرية شعب يتكون من عناصر شتى وعبقرية الشعب المغربي لا يمكن لي تحليلها هنا ولكن يمكن لي أن أقول بالاجمال انها تتكون أولا من قدرة ومن طاقة هائلة على الاستيعاب نحمد الله عليها، على استيعاب كل شيء، كل لغة، وكل تثقيف، وكل تكوين.

والظاهرة الثانية للعبقرية المغربية أنها لا تنطبع بانطباعات خارجية، بل لما تنطبع بها وتهضمها تسبكها في قالب جديد وتخرجها في حلة جديدة وتقدمها للعالم كما أعطتها بواسطة الأندلس وبواسطة كتبها وبواسطة علمائها وأطبائها في ثوب جديد، فهي شخصية قوية الهضم والاستيعاب قادرة على التحويل وعلى الابتكار.

وأخيراً فإن عبقرية المغاربة تتسم بقوة الحفظ، والحفظ شيء مهم بالنسبة للتكوين البشري، لقد قيل بأن شاعراً أتى إلى أبي نواس وقال له إنني أرغب في أن أكون شاعراً فأجابه طيب هاهي ذي عشرة آلاف بيت من الشعر فلما تحفظها عد إلي فغاب الرجل مدة من الزمن وعاد إليه قائلا :

لقد حفظت ما أعطيتني فقال له :

أتل علي ما حفظت فتلا عليه العشرة آلاف بيت، فقال له : أهملها، معنى هذا أنه أعطاه السماد، كالأرض

حينما تعطيها الأسمدة، سماد تكوين عبقريته.

هذا أبو نواس العربي الذي عاش منذ اثنى عشر قرناً ولا أقول ايريو الفرنسي الذي عاش في هذا القرن، فايريو يقول إن التكوين العام هو ما يبقى في ذهن البشر عندما ينسى كل شيء.

فالمغاربة كانوا دائماً مشهورين بذاكرتهم، فأساس ذاكرتهم أنهم يحفظون القرآن دون فهمه.

لقد دخلنا نحن إلى الكتاب وحفظنا من (الحمد لله) حتى (سبح) حتى (عم) لا نفهم شيئاً مما نقرأه، ولكن تكونت فينا رياضة فكرية جعلتنا دائماً في الصف الأول في المدارس الأجنبية وفي الكليات سواء كلية الحقوق أو كلية العلوم.

كانت نقطنا دائماً متفوقة بالنسبة للأجانب الذين نقرأ لغتهم، لأننا نحفظه ونهضمه في فكرنا المغربي ونضيف إليه أفكارنا المنبثقة من واقعنا وبذلك كنا ننتصر على جميع رفقائنا.

فحفظ القرآن هو طريقة في التعليم وطريقة لكسب القوت لم نعد مع الأسف نراها لدى عدد من الشبان وعدد من التقنيين فحينما أطلب من أحدهم تقديم أرقامه لا يستطيع إلا بعد أن يخرج ملفه، لقد كان من العار أن يفعل المرء ذلك في وقت مضى يوم كان عدد من العلماء يتلون بالسند الصحيح آلاف الأحاديث دون تلعثم، وأنا أتحدى اليوم هؤلاء الذين تكونوا أن يتلوا أمامي فقط مئة حديث بسندها وبمراجعها.
والنتيجة أن المرء يصبح أسير أوراق ولا يكون علمه فيه وإنما يكون علمه معه، وقديماً قال العلماء اللاتينيون «عالم مع كتابه ليس عالماً» .

وأنا أعتقد أنهم كانوا على صواب، فتكوين الكتاب سينمي في الجيل المقبل القدرة على الحفظ والقدرة على الالمام بالمشاكل وبالقضايا حتى يستطيع أن يربط فوراً بين الأسباب والمسببات.

وأخيراً ومن مزايا هذه الكتاتيب أننا سنكون على الأقل قمنا بواجب ملقى على عاتقنا، فنحن مسؤولون، كل واحد منا مسؤول في بيته عن أبنائه، ولكل واحد قسط من المسؤولية الجماعية في المجتمع الذي نعيش فيه، فمن واجبنا أن لا نترك بل ولا نخلق تضاربا وتناقضا ومشاكل في ذهن أبنائنا فما معنى بناء الكتاتيب وبناء المساجد وطبع القرآن ولا نربي أبناءنا في ظلها وإلا فإنهم سيتساءلون بعد ما يكبرون عن الصلة التي بينهم وبين ما قام به آباؤنا فإما نحن لسنا بحاجة إلى المساجد وإما المساجد ليست بحاجة إلينا، وسنكون قد جعلناهم في حيرة إذ سيقولون إن آباءنا لم يقوموا بتربيتنا إن آباءنا صرفوا الأموال في غير محلها.

وأيضاً فإن من واجبنا أن نعرف شيئاً آخر هو انه ليست هناك أية دولة لا معتقدات لها، فحتى المعسكر الشيوعي له معتقداته، وأخيراً لما شعر بأن معتقداته كادت تمس وقف على أبواب حرب عالمية ثالثة حتى يمكنه الحفاظ على عقيدته التي لم تمس وإنما كادت تمس فقط، فلم يتريث ذلك المعسكر.

أما نحن الاشتراكيون لأننا مسلمون ونحن حملة التثقيف إذ الحديث النبوي الشريف يقول : «اطلبوا العلم ولو بالصين» ونحن الذين أوجب علينا الاسلام التعليم وتعلم الرجل والمرأة.

أما نحن فلا نتعلم ونكتفي بالتلقين فقط، وهناك فرق بين التعليم والتلقين، فالتلقين هو السماع والادراك، أما التعليم فهو ما يدخل إلى الذات ويصير روحا ثانية بمثابة الروح الأولى فهل سننكر مبادئنا ولا نحارب أبدا

من أجلها ونترك أفكاراً أخرى تتسرب إلينا ؟ هذا مستحيل !

وهذا ليس رجوعا إلى الوراء لأن التثقيف الاسلامي والتربية الاسلامية ليست منافية للعصر، ولو كنت شاعرا شخصياً وهذه أقولها أمام الملأ بأن في تربيتي أو في تكويني شيئا مخالفاً فلن أربي عليها أبنائي ولن أنادي بها لتربية الغير، وأنا لست المثال أو المثل المطلق، ولكني سعيد بالتربية التي تلقيت، فقد خرجنا إلى الخارج ولم نكن مدعاة خجل وارتدينا لباس الخارج ولم نكن مدعاة خجل وتكلمنا لغتهم فكنا أحسن منهم وقمنا بما قاموا به، فكنا في مرتبتهم أو أكثر في جميع الميادين ومع ذلك كنا نتجاوزهم بأننا نحن ما نحن بالاضافة إلى ما اكتسبناه منهم.

فلماذا إذاً سننكر فضل تكوين ضمائرنا وهو تكوين لا يتنافى تماما بل يطابق سير المغرب كي يكون أداة وصل بين الغرب وبين الشرق، فعندما يفقد المغرب عبقريته الخاصة سيصبح جسراً من مادة «البوليستر» لا تمتص شيئا، فحتى لو كان من الحجر فإن بإمكانه امتصاص الماء أو الزيت ولكن البلاستيك لا يمتص شيئاً، فهو مادة بدون شخصية ولا روح، فإذا ما بقينا على ما نحن عليه فسنصبح جسراً من البلاستيك لا نستفيد من كل ما يمر علينا ولا نفيد.

لذا قررنا أن نبدأ حملة الكتاتيب في الأسبوع المقبل وقررنا أن التلاميذ سيدخلون الكتاب من سن الخامسة إلى السابعة، وقررنا أن تلميذاً قضى سنتين في الكتاب يحظى بالأسبقية في الدخول إلى المدرسة، فعندما تكون أبواب المدارس غاصة بالطلبات في أكتوبر فإن التلميذ الذي قضى سنتين بالكتاب ستكون له الأسبقية المطلقة على غيره.

قد يتساءل الآباء ولهم الحق في ذلك عن برامج وكيفية تسيير الكتاتيب.

أما البرامج فيمكنني أن أقول لكم أنها سهلة.

يتعلم فيها الطفل في السنة الأولى القرآن إلى حزب (سبح)، ويتعلم الكتابة والقراءة وقواعد الاسلام الخمس، وكيفية الوضوء وقواعد الصيام والآداب مع الكبار والتواضع مع الصغار والتكوين المدني للمواطنة الحقة والتكوين الوطني وسيتلقى الرياضة أسبوعياً حسب حصة معينة.

وبالاضافة إلى ذلك على الفقيه الزامياً أن يأخذ أطفال جامعه إلى المسجد لصلاة الجمعة ولم يكن البرنامج يحتوي على هذا الأمر، ولكنني أضفته إليه، فليس هناك ما يبهر الطفل أكثر من أن يقول له الفقيه توجه إلى منزلك والبس طربوشاً وجلابة بيضاء كي تذهب للصلاة بالمسجد، فحتى لو لم يفهم الطفل ما يقوله الخطيب وحتى إذا نام والفقيه يخطب فلا بأس في ذلك لأنه غير مكلف، وحتى لو كان الناس يسبحون وهو يتمعن في زخارف المسجد، كل ذلك لا يهم، والمهم أنه يرى عظمة المسلمين وجماعاتهم ويتطبع بذلك الانطباع ويبقى راسخاً في ذهنه لا ينساه أبداً.

فحتى ولو كان يوم الجمعة يوم رخصة يجب أن يجتمع الأطفال بالكتاتيب ليتوجهوا إلى صلاة الجمعة رفقة فقيه سيكون مسؤولا عن مراقبة طبقته لتذهب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة.

أما اختيار الفقهاء فسيكون على أساس أن يكونوا متوفرين على طريقة التعليم أولا والكفاءة ثانيا حتى

يتمكنوا من أن يتعلموا ويعلموا لن يكونوا على الشكل الذي كنا نعرفه نحن حيث كانوا يطبقون أساليب عتيقة وغير لائقة في تعليم الأطفال فنحن الآن قد تجاوزنا هذا الحد سيكون لكل فقيه برنامج وكتاب مطبوع من وزارة التعليم الابتدائي حسب الأيام والأسابيع والسنوات وطريقة التلقين والتثقيف، وسيقع اختيار الأساتذة من أحسن الناس، وهنا ستدخل مساهمة الجماعات البلدية والقروية والعمال ورجال السلطة ووزارة الأحباس.

فكل قرية وكل مقاطعة في المدن الكبرى ستجتمع لاختيار أحسن وأنزه وأتقى شخص وأقدرهم على التلقين بعد النظر في سلوكه الذي يجب أن يكون حسناً، وقد فسرت منذ سنتين لما قلت من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه.

وأعطيت تفسيراً (بقلبه) أي باستقامته وسيرته، فيجب على الفقيه أن يكون قدوة يقتدى بها ومثالا حياً للفضيلة الاسلامية التي سيربى عليها التلاميذ.

فكيف سيتلقى هؤلاء الناس أجورهم ؟ سنقتسم نحن الآباء ذلك، وأنا أعرف أن الآباء لا يدخرون اليوم أي شيء في سبيل أولادهم، فكل ما اكتسبوه ينفقونه على أبنائهم إما لغذائهم أو لباسهم أو لتعليمهم، فإذا ما أدى كل أب 500 أو 250 فرنك في الشهر فسيمكن حسب عدد السكان آداء الأجر للفقيه والمدرسة التابعة للشبيبة والرياضة التي ستلقنهم الرياضة وبذلك سنرفه على أولئك الناس وسنجعل لهم مكانة بيننا.

إننا نواجه مشاكل في التعليم فلماذا ؟

الحقيقة اننا نحن الذين أبعدنا عنا المدرسين والمعلمين. ومجتمعنا وطريقة معيشتنا هي التي جعلتنا ننبذهم وكأنهم عضو أشل في مجتمعنا أو عضو غير نافع، فقبل اليوم كان الفقيه أو القاضي أو الامام في الحي له دور كبير لا يجد فراغاً في وقته، كان يؤم بالناس، ويعلم ويسدد بين الناس، فكلما حدث مشكل التجأ إليه الناس، وكان يصلح بين الزوجين، واليوم أصبح مدرس السنوات الابتدائية المقيم في قرية بعيدة، بالاضافة إلى أنه لا يعرف حتى آباء التلاميذ، فلماذا نقول بأن الأساتذة يجهلون واجباتهم فالحقيقة أنهم لم يجهلوا واجباتهم، وإنما نحن الذين جعلناهم يشعرون أنهم أجانب عن المجتمع، وأنهم آلة للطاعة فقط، وأنهم ليسوا آلة للتكوين والتربية.

وأنا أقول بهذه المناسبة لأولئك الأساتذة كيفما كان مستواهم : عفا الله عما سلف من الجهتين، فنحن أي المجتمع المغربي لا الدولة ولا الحكومة سنأتي عندكم وأنتم ارجعوا إلى مجتمعكم واطمئنوا حتى تملأوا داخل هذا المجتمع المكان الذي كان من الواجب أن يكون لكم، والذي إن لم يكن من الواجب أن يكون لكم لم يكن من الواجب أن يفرغ منكم، فلما سيتحقق هذا التداخل وهذا التعايش وهذه المشاركة وهذا الاشتراك الذي كان يتمثل في الماضي فيما كنا نسمعه عندما يأتي الرجل بولده إلى الجامع ويقول للفقيه «اقتل وأنا أدفن» ومعنى ذلك أننا مشتركون في هذا الطفل نصفه للفقيه ونصفه لي، فهذه العطية وهذه الهبة التي أعطاها آباؤنا وأجدادنا للأساتذة هي ما نريد تطبيقه.

فنحن جميع آباء المغرب المجتمع الذي يضم 14 مليون نسمة يقول لعشرات الآلاف من الأساتذة كيفما كان مستواهم سواء أساتذة الابتدائي أو الثانوي أو العالي هاهم أبناؤنا وديعة بين أيديكم، وأنتم مسؤولون عنهم أمام الله، فنحن من جهتنا نربي وأنتم من جهتكم تثقفون وتعلمون، فنحن مشتركون في الأمانة، فأبناؤنا ولدناهم، ونسهر على مأكلهم ومشربهم ولكن الشيء الذي سيملأ دماغهم هو بين أيديكم.

فهي وديعة، وأقدس وديعة ممكنة هي أن الانسان يقدم جزءاً من لحمه إلى إنسان ويعطيه حرية التصرف فيه، فعسى أن يفهم الأساتذة كيفما كان مستواهم هذه الهدية وهذه الثقة المسبقة من الآباء إلى الأساتذة.

وإني أؤكد هنا لوزيرنا في التعليم الابتدائي تعليماتنا الصارمة بأن لا يقبل من باب الأسبقية من يومنا هذا أي تلميذ مهما كان أبوه إذا لم يكن قد قضى سنة أو سنتين في الكتاب، وأنا أعرف عدداً كبيراً من الناس من طبقة عالية من الناحية الاجتماعية والسياسية أبناؤهم في مدارس البعثة، فعلينا أن نقدم نحن المثال، وأنا، أبنائي لن يذهبوا إلى مدارس البعثة، وسوف يدخلون بعد عشرة أيام إن شاء الله إلى الكتاب مع جميع المغاربة.

فعفا الله عن أولئك الذين أفلتوا من أيدينا، إذ لا نستطيع أن نفعل في شأنهم أي شيء، وعلى كل حال فعسى أن يعطيهم آباؤهم دروساً ليلية وإلا فسيحدث مشكل في نفس المنزل، إنني أطلب من الذين يتوفرون على أبناء تتفاوت أعمارهم أن يتحروا في هذا الأمر، وأنا مستعد للنظر في هذا المشكل بتنظيم دروس تكميلية في الليل، ولكن هذه عملية أخرى تتطلب تفسيراً آخر حتى لا يخلق في عائلة واحدة تضارب ومشاكل، فطفل الخمس سنوات اليوم سيقع في تناقض مع أخيه البالغ الرابعة عشرة والذي سيكون قد فاتته فرصة هذا التثقيف وهذه التربية وسيصبح الوالد والأم في حيرة وشبه حكم مستمر بين تضارب وتطاحن مستمر في أسرة واحدة وبين الاخوة.

وإني أطلب من الوزراء الذين يهمهم الأمر، وهو أمر يهم جميع الوزراء لأن الوزير مساعد في الحقيقة على التفكير كيف يمكن لنا تدارك أولئك الذين تجاوزوا سن الخامسة فاتهم طور السنتين.

والمهم أن يبدأ المرء بنفسه وأن لا يأمر الآخرين إلا بما يفعله والشيء الذي أقوله لكم انني مشارك شخصياً فأنا متوفر على سكنى خاصة بي لأن دار المخزن ليست في ملكي وسكناي توجد في حي السويسي ومتشارك مع سكان السويسي وسأؤدي لجامع وفقيه السويسي حقي وما علي إلا أن أبعث بابني يوم يكونان في سن الكتاب، واقصى ما يمكن أن أقوله لكم هو انني لا أريد لأبنائي إلا ما أريد لأولادكم، ولي اليقين أن الله سبحانه وتعالى قد علم وسبق علمه في الازل بأن في قلبنا خيرا وسيجعل من خطواتنا هذه خطوات خير وخطوات عهد جديد، بل وتثقيف جديد بل بعث جديد للروح الاسلامية وللثقافة الاسلامية وحينما أقول الثقافة والروح لا أعني بهذا الجمود ولا الوقوف عند الحدود التي وقفنا عندها بل أعني بهذا مسايرة الركب وأعني بهذا كتاب الأمير شكيب أرسلان الذي سماه «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم»، ذلك أننا لم نكن ولا يمكن أن لا نكون في الطليعة من ناحية الثقافة، ومن ناحية البحث ومن ناحية العلم، ومن ناحية التقنية، فهل علماء الفضاء لا يذهبون للكنيسة أو إلى البيعة ؟ لي اليقين أنهم كلهم يذهبون يوم السبت أو يوم الأحد لأداء فريضتهم، فهل أداء الصلاة وصيام رمضان وتطبيق المبادىء الحقيقية للدين يتنافى مع فحص طبي أو تحليل كيماوي ؟ كلا ! بل الايمان بالمعتقدات هو الذي يعطي الايمان بالعلم لأن العلم أساسه الشك والتشكك.

فالانسان عندما يبدأ في العلم يبدأ بفكرة ثم يختبرها ثم يكرر اختباراته فإذا أعطت الاختبارات نتائج متشابهة في جميع الظروف أصبحت نتيجة علمية، فأساس العلم هو الشك فإذا كنا متشككين في أنفسنا وزدنا على التشكك تشكك العلم يمكنني أن أقول بأن لا علم لنا ولا يمكن أن يكون لنا أي علم.

أما إذا نحن تسلحنا بيقين داخلي نعلم اننا موجودون ونعلم اننا نعلم شيئاً هو فوق العلم، فالاستمرار فوق العلم والعبقرية فوق العلم إذ ذاك نتمكن من مواجهة العلم مع تشككاته بكل ارتياح وكل طمأنينة، وعسى



الله أن يجعل من يومنا هذا يوماً مباركاً، وإننا لنرجوه سبحانه وتعالى أن يعيننا على هذه الحملة وأن يلهم مواطنينا ورعايانا عباده المسلمين أن يلهم الثقة والمشاركة في هذا المشروع الذي نرتجي من ورائه كل خير ونؤمل من ورائه كل فتح للأذهان للعبقرية وللروح الاسلامية، للشخصية المغربية لحسن المواطنة ولحسن التربية.

إننا لنرجو الله سبحانه وتعالى كذلك أن يجعل من شعبه المغربي هذا شعباً يحفظ كلامه ويفهمه، لأن كلام الله ليس كلام عبادة فقط، بل هو كلام تعامل ومعاملات ويلهمه حسن التطبيق وحسن التسيير حتى يمكن لهذا الشعب المغربي المسلم أن يعطي تفسيراً جديداً لكتاب الله العزيز، ويدلي بنصيب جديد في الحضارة الاسلامية، تلك الحضارة التي تبحث اليوم أكثر من أي وقت مضى عن رائد وعن دافع وملجإ تلتجيء إليه، وتعلم حق العلم أنه هو ذلك المجتمع وارث السر حافظ الأمانة، جعل الله هذا الشعب ذلك الشعب الذي يرث السر والذي يحفظ الأمانة، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد ويعيننا على ما نحن بصدده.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الخميس 17 رجب 1388 — 10 أكتوبر 1968